الإسلام وبحث الشباب عن المعنى
سبعة أسباب وراء أسئلة الشباب ومساءلاتهم عن الدين

أ.د. محمد غورمَز
رئيس وقف معهد الفكر الإسلامي

أ.د. محمد غورمَز
رئيس وقف معهد الفكر الإسلامي

الإسلام وبحث الشباب عن المعنى
سبعة أسباب وراء أسئلة الشباب ومساءلاتهم عن الدين

2 تموز 2020 İDE أنقرة

الإسلام وبحث الشباب عن المعنى
سبعة أسباب وراء أسئلة الشباب ومساءلاتهم عن الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

إخواني الأعزاء الكرام

بداية أحييكم بتحية الإسلام،

وأود الوقوف اليوم عند مسألة طالما توقفنا عندها كثيراً، ألا وهي علاقة الشباب بالدين، وهل يبتعد الشباب عن الدين؟ وهل تنشأ أجيالٌ جديدةٌ بعيدة عن الدين؟ وهل نحن أمام موجة جديدة من اللادينية والإلحاد كما يتكرر كثيراً اليوم؟ أم أن كل هذا جدلٌ فارغٌ، وزعمٌ باطل، وخطابٌ مجرد عن أي مضمون؟ وإن كان هذا الزعم حقيقة، فما هي أسبابه؟ وهل يمكن تحويل هذه النقاشات الدائرة إلى رحمة؟ أود الحديث معكم اليوم ومشاركتكم بأفكاري على محور هذه الأسئلة.

نعم! هناك تحول كبير يعيشه الشباب اليوم بالتأكيد في علاقتهم بالدين. لكن الذي توصلت إليه من قراءاتي وملاحظاتي التي اكتسبتها من أبحاثي الهامة التي قمت بها وتقاريري وزياراتي التي قمت بها إلى بلدان كثيرة في الشرق والغرب، ... والأهم من ذلك كله، النتيجة التي توصلت إليها في لقاءاتي مع الشباب، وتبادلنا الهموم ونحن نرتشف الشاي من حين لآخر؛ أنه لا علاقة للتغيير في عالم الشباب بالإلحاد أو اللا أدرية، وليس لها علاقة بالإلحاد الفلسفي الذي يجري منذ مطالع هذا القرن بأي شكل من الأشكال. أعتقد أن شبابنا اليوم يسعون في سبيل البحث عن معنى جديد. نعم يمكننا أن نقول: إنه البحث عن معنى جديد. تماماً كإنسان يبحث عن معنى الحياة، ويسعى للوقوف على كنه الحقيقة. نعم! هناك اليوم أسئلة جديدة للشباب، ومساءلات جديدة، واعتراضات جديدة تتعلق بديننا.

أحبابي الشباب!

عند النظر في أسئلتكم ومساءلاتكم واعتراضاتكم، وقد عملت على جمعها كما أسلفت، فإني أرى أنها ناجمة إلى حد كبير من غياب الفهم الصحيح لمصادر الدين الصحيحة، ومن تطبيقه الخاطئ، وممارساتنا الخاطئة. أعتقد أن السبب الأصلي الذي يدفع الشباب إلى التردد ويدفعهم إلى المساءلة هو النقاشات الخاطئة حول الدين، والخطابات الدينية الخاطئة، والممارسات الدينة الخاطئة. وهناك بالطبع أسباب أخرى!.

فالتحول الرقمي قبل كل شيئ يسر الوصول إلى جميع أنواع المعلومات بسهولة. وبينما المعلومات الدينية في بنية متكاملة؛ تمزقت، وتحولت أشلاء، وظهر للميدان فوضى المعلومات وفوضوية التأويلات. وتحول الدين في منابر الإنترنت إلى ساحات صراع. ومع التحول الرقمي أصبح الإدراك البصري هو المهيمن. وأصبح العقل والنفس أكثر اشتغالاً بالمظهر والصورة والبصريات. وأصبح الإنسان أكثر بعداً عن الحقيقة. وهذا الأمر بالتأكيد يقف أمامنا سبباً آخر لأزمتنا المعنوية.

أحبابي الشباب!

هذه الدروس في الأصل هي الأسئلة التي تلقيتها منكم، وجمعتها حول الدين. وأردت أن أجيب عليها سؤالاً سؤالاً. ثم رأيت أن جميع أسئلتكم ومساءلاتكم تتمحور حول سبع قضايا، وأعتقد أنه إن أمكن تأسيس هذه القضايا السبعة بشكل سليم فإن العُقَد الكبرى ستنحل بشكل كبير، والأسئلة ستجد أجوبتها الشافية. فما هي هذه القضايا السبعة بإيجاز شديد؟!

1- أول هذه القضايا هي **علاقة الدين بالإنسان**، أي أن العنوان الأول الذي تتركز حوله الأسئلة الواردة منكم هو علاقة الإنسان بالدين. فنحن في مناقشاتنا نقوم بالمقابلة بين ما هو ديني وما هو إنساني، ونضع ما هو

إسلامي على نقيض ما هو إنساني، وهذا الأمر يوقظ فينا انطباعاً بأن الدين جاء لتقييد جميع حرياتنا. وكذلك التأويل الخاطئ للدين الذي يجعل الإنسان (عبدا)؛ يتسبب بخطأ كبير. وفي خضم هذا التناقض، أي عندما ننتج خطاباً يجعل ما هو ديني نقيض ما هو إنساني، نحْملُ الشباب على اختيار ما هو إنساني.

لكن الحقيقة أيها الشباب هي أن الدين نظام إلهي منزَّلٌ من أجل رفع شأن الإنسان، وإضفاء قيمةٍ لوجوده، وتكريمه. والدين هو الهداية التي ترشدنا إلى غاية الحياة وتعلمنا حكمة الخلق. ولهذا السبب لا يوجد صراع بين ما هو ديني وبين ما هو إنساني. فما هو ديني هو إنساني، وما هو إنساني هو ديني، وما هو إنساني هو إسلامي أيضاً. فالدين هو الفطرة، يقول اله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[الروم، 30].

ولا بد لنا أن نميز هنا بين الإنسانية والأيديولوجية التي تنكر الخالق (هيومانيزم)، فنحن نجنح قليلاً في قراءاتنا ونحاول قراءة كل شيء وفهمه من منظور (الآخر) أو من خلال الغرب؛ وهذا أمر خاطئ. فنحن نرفض الإنسانية أحياناً ونحن نريد انتقاد الأيديولوجية التي تحمل هذا الاسم، ولذلك يظهر في آرائنا والفتاوى الفقهية وأفهامنا الكلامية وتصوراتنا الاعتقادية التناقض بين ما هو إسلامي وما هو إنساني. وهذا أمر غير صحيح.

2- والعنوان الثاني الذي تتمحور حوله أسئلة الشباب ومساءلاتهم، هو علاقة الدين بالدنيا. فخطابات الدين الخاطئة تجعل الدين والدنيا على طرفي نقيض، ويفتح باباً للصراع. فبعض هذه الخطابات تحتقر الدنيا، وتنسى وظيفتنا في إعمار الأرض. تتحدث عن الدنيا باعتباره سجنا لمؤمن وجنة لكافر في فهم خاطئ للحديث. والشباب في هذا الصراع يميلون إلى جانب الحياة، ويختارون الحياة التي يعيشونها.

وهذا الخطاب نفسه يتدخل في المجالات التي تركها الدين لاختيار الإنسان. ويتم الوقوف باسم الدين ضد كثير من الفعاليات والنشاطات التي تجري في مجالات الثقافة والفنون والآداب دون إمعان نظر أو تفكيرٍ كافٍ. ويتدخل بشكل كبير في أشكال الناس والشباب وقيافاتهم، ويضيق دائرة الحلال. وتضييق دائرة الحلال لا ينفع بشيء سوى زيادة المحرمات. والقرآن الكريم بالمقابل يبين لنا اتساع دائرة الحلال، وينبهنا فيقول سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾[الأعراف، 32]، بل يتوعد الذين يتكلمون في الدين بلا علم، فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذَا حَلَالٌ وَهٰذَا حَرَامٌ﴾[النحل، 116]. ولا يخلو الكتاب والسنة بالتأكيد من الانتقادات التي يوجهها للدنيا. لكن المستقبح هو الخلود إلى الدنيا وتجاهل الآخرة وليست الدنيا، والمتستقبح هو العلمانية. ولا يوجد آية في كتاب الله، ولا حديثاً في سنة رسول الله يحتقر الدنيا لأنها دنيا، بل يعلمنا ربنا أن نطلب في هذه الدنيا حسنة كما نطلب في الآخرة حسنة، وذلك هو دعاؤنا في كل يوم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة، 201].

3- الأمر الثالث الذي تتمحور حوله أسئلة الشباب ومساءلاتهم هو علاقة الدين بالعقل. وهنا أيضاً تأتي الخطابات الدينية الخاطئة لتجعل علاقة الوحي بالعقل باستمرار موضوعاً للنقاش والجدل. وتجعل ما هو عقلي في مواجهة ما هو ديني. بل تكتسب الأفهام الدينية التي تذم العقل انتشاراً. والحقيقة هي أن العقل هو محل خطاب الدين الأول. وقد رفع الوحي مكانة العقل، وكان سؤاله الصادم الأبرز الذي يتكرر كثيراً هو قوله تقريعاً: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

والإمام الغزالي الكبير يقول: "العقل أنموذج من نور الله تعالى" (الغزالي، مشكاة الأنوار، ص 44)

فلا يمكن لأحد أن يقول لأصدقائنا الشباب اليوم: دع عقلك جانبا، وأقبل على الإيمان. ولا يمكنه أن يقول: إن كنت تريد الجنة فدع العقل جانباً وأقبل، عندها تدخل الجنة!. فالقرآن الكريم يقول عكس ذلك تماماً، وسيقر أصحاب الجحيم ويعترفون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك، 10]. ويبين ربنا سبحانه أنه يجعل الشر والعذاب على الذين لا يعقلون: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[يونس، 100]. ومعظم

المصائب التي تحل اليوم بالمسلمين اليوم سببه أنهم لا يعقلون. ومصائبهم آتية من تخلفهم عن إنتاج المعلومة والفكر والقيمة.

وهنا أيضاً، نحتقر العقل ونحن ننتقد الأيديولوجية العقلانية التي تؤله العقل. ولا نقصد بالعقل هنا العقل الذي يختلف من شخص لآخر ويقع أسير الرغبات والشهوات. بل نتحدث عن العقل السليم الذي هو محل خطاب الوحي الإلهي، والذي وهبه الله تعالى للإنسان كي يفهم الدين والكون والكائنات.وقيام مثل هذا العقل بتوجيه الأسئلة وتقديم المساءلة والاعتراض لن يكون إثماً. بل سيكون ذلك عبادةً وتصرفاً يستحق المدح والثناء.

4- والعنوان الرابع الذي تركزت حوله أسئلة الشباب ومساءلاتهم هو علاقة الدين بالعلم. فبسبب النظام التعليمي يقوم عندكم تناقض بين ما تجدونه في مخابركم وتتلقونه في العلوم الطبيعية وعلوم الفيزياء، وبين ما تجدونه في دروس الدين عن الخلق وحركة الكائنات. والخطابات الدينية الخاطئة هنا أيضاً تقدم باستمرار العلاقة بين العلم والدين باعتباره حقلاً للصراع. والفكر الغربي بسبب هذه العلاقة وبسبب عجزه عن بناء هذه العلاقة، خضع لتحول كبير جداً. فوضع مسافة كبيرة جداً بينه وبين الدين. والفهم الديني الخاطئ عندهم له حصة كبيرة في ذلك. والحقيقة التي أكررها باستمرار، أن العلم يشرح لنا الطبيعة، ولا يضفي لها معنى. والذي يجعل للطبيعة معنى هو الدين. فالكشوفات العلمية المبنية على التجربة، سواء أجراها ابن سينا أو الفارابي أو الكندي أو نيوتن أو أينشتاين، لا تعني شيئاً سوى اكتشاف القوانين التي أودعها الله في الكائنات.

ونحن نقع في هذا الخطأ ونحن نريد انتقاد المذهب الوضعي من المقاربات العلمية المتعددة. ومن المحال أن يكون هناك تناقض بين القوانين التي أودعها الله في الكائنات التي ندعوها سنة الله وبين القوانين التي أرسلها إلى الإنسان. لأن التكوين لله تعالى والتنزيل له سبحانه أيضاً. فهناك الوجود والعالم والكائنات التي تضم داخلها جميع الأكوان بعلاقة ليس فيها خلل أو عيب وهذا ما نسميه (بالكون الكلي). وهناك الطبيعة باعتبارها تَجَلِّيَ الكائنات في محيط الإنسان، وفطرة الإنسان التي تعبر عن خلق الإنسان باعتباره المخلوق والكون والكائن الفريد الذي لا مثيل له. ولنقل إنه (الكون الجزئي). فالكائنات والطبيعة والإنسان كلٌ متكاملٌ لا يتجزأ. لكن يؤسفني القول إن الفساد أصاب وحدة العلوم التي كانت في الحضارة الإسلامية، وأفسدت أمة التوحيد وحدة العلوم، وقمنا بتقسيم العلوم إلى علوم دينية وأخرى غير دينية، وعلوم إسلامية وغير إسلامية، وفي ذلك انتحار حضارتنا. ولم نستطع أن نتناول التنزيل والتكوين معاً، ولهذا السبب، لم نستطع إنقاذ هذه العلاقة من أن تنقلب إلى حقل للصراع.

5- والعنوان الخامس الذي يثير أسئلتكم واعتراضاتكم هو العلاقة بين الثقافة والدين. إننا نخلط بين ما هو ديني وما هو ثقافي بناء على الخطابات الدينية الخاطئة. لا شك بأن التقليد هام. لكن المطلوب منا هو فهم التقليد، لا تقديسه. ونحن نقدس التقليد أحياناً، ونجعله بمنزلة الدين. وهناك عناصر كثيرة في التقليد تحافظ على وجودها باسم الدين. والحقيقة أن الله سبحانه أرسل نبينا محمداً وجميع الأنبياء إلى أقوامهم، لكن أياً منهم لم يعمل على تحويل ثقافة قومه إلى أسس دينية عالمية. وإن أكبر بدعةٍ يمكن أن يشوب الدين هو أن تنقلب أعراف الأقوام الذين أرسل الله أنبياءه إليهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى دين. إنه بمقدار ما هو خاطئ قراءة الوحي على أنه نتاج الثقافات، وبمقدار ما هو خاطئ قراءة الدين كنتاج ثقافي؛ يكون خاطئاً تحويل الثقافة وإلصاقها بالدين. والنتيجة أنه يتم هجران أسس كثيرة في العقائد، وإلحاق عناصر كثيرة ليست من العقائد، واعتبارها من ثوابت العقيدة. ويختلط عندنا ثوابت الدين بمتغيراته. وتختلط العادات بالعبادات، ويختلط ما هو محلي بما هو عالمي. ولهذا السبب، نحمِّل الإنسان من المسؤوليات ما لم يأت بها الدين. والشباب إلى الفطرة أقرب، ولا يريدون حمل هذه الأعباء المخالفة للفطرة وإن كانت باسم الدين.

6- العنوان السادس الذي يركز عليه الشباب في أسئلتهم هو علاقة الدين بالأخلاق. إن التدين الذي لا ينتج الأخلاق نظرياً ولا عملياً يؤثر سلباً على الشباب. تتعرض علاقة الدين بالأخلاق اليوم للاعتداء من جانبين: الأول هو الفهم الذي يرفض مصدر الأخلاق الديني والإلهي. والثاني هو فهم الدين الخاطئ الذي يهمل البعد الأخلاقي للدين، والتدين الخاطئ. ويؤسفني أن أقول هنا إننا نحن المسلمين ندعم جهود العلمانية الأيديولوجية لفصل الأخلاق عن الدين. ندعمها من خلال فصل الدين عن الأخلاق. والحقيقة أن جوهر الدين هو الأخلاق.

وفصل الدين عن الأخلاق يعني فصل الدين عن نفسه. والأخلاق هي غاية العبادات. ولا فقه بدون أخلاق. وفصل الفقه عن الأخلاق، واستبعاد العبادات عن الغايات الأخلاقية، واختزالها إلى الأشكال؛ مصيبةٌ كبيرة تحل بمجتمع المؤمنين. ورسول الله (ص) يقول: "الدين حسن الخلق"(الغزالي، الإحياء، ج 3، 50). ويشير رسول الله (ص) إلى غاية إرساله فيقول: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"(الموطأ، حسن الخلق، 8. ابن حنبل، المسند، ج 2، 381).

7- والعنوان السابع الذي يرتكز عليه أسئلة الشباب هو كيفية تأسيس العلاقة بين الله والإنسان. وتأسيس هذه العلاقة على محور القدرة والإرادة فحسب، وتأسيس العلاقة بين الله تعالى والإنسان على شكل الحاكم والمحكوم، أو على شكل الرب والعبد، أو على شكل القدرة المطلقة والعبد العاجز، يشكِّلُ خللاً في التأسيس. فالعلاقة بين الله تعالى والإنسان هي ميثاق. وهذا الميثاق ينقسم إلى قسمين: ميثاق الشهادة وميثاق الأمانة. وميثاق الشهادة يحول العلاقة بين الله تعالى والإنسان إلى علاقة بين الشاهد والمشهود. فالإنسان عندما يقر ويقول "أشهد"، يشهد بأسماء الله وبآياته، والله تعالى يكون شاهداً على جميع أحوال عباده وأفعالهم. وميثاق الأمانة يحمل العلاقة بين الله تعالى والإنسان إلى بُعْدِ الأمانة، وإلى عهد أمان متبادل. وهذا يتطلب أن يعيش الإنسان حياة يعتبر فيها كل ما يملكه أمانة.

فالخطابات الدينية الخاطئة بإيجاز هي: ذم الإنسانية باسم انتقاد الإنسانية الأيديولوجية (هيومانيزم)، وجعل ما هو ديني نقيضاً لما هو إنساني. وذم الدنيا باسم انتقاد العلمانية، وجعل الديني نقيض الدنيوي، والإساءة إلى العقل باسم انتقاد العقلانية الوقحة. وجعل ما هو عقلي نقيضاً لما هو ديني، والإساءة إلى العلم باسم انتقاد المذهب الوضعي، وجعل الدين نقيض العلم. والخلط بين ما هو ديني وما هو ثقافي، وإهمال البعد الأخلاقي للدين وتجاهل المصدر الديني للأخلاق. وتأسيس العلاقة بين الله تعالى والإنسان بشكل خاطئ.

أحبائي الشباب!

إن الإنسان يأتي مرة واحدة إلى الحياة الدنيا. والمهم في هذه الحياة ألا ينسى الإنسان غاية خلقه وسبب وجوده وحكمة الحياة. والناس لم يجدوا الإجابات المطمئنة للأسئلة التي تدور في أذهانهم منذ بدء الخليقة: من أين أتيت؟ وإلى أين أذهب؟ (أي المبدأ والمعاد)، وما هي غاية الخلق والوجود، إلا في دين الله تعالى. والحقيقة أن الجواب على أسئلتكم ومساءلاتكم أصدقائي الشباب موجودة في رسالة الله المفعمة بالرحمة وبشكل رائع بديع، لكن الخطابات الدينية الخاطئة تعقد هذا الأمر.

أيها الشباب!

لا تتسرعوا في إعطاء القرار في القضايا الهامة مثل الدين والعقيدة. ولا تتوقفوا عن القراءة والمساءلة وتوجيه الأسئلة والبحث والاستقصاء. ولنقرأ التكوين والتنزيل، ولا نفصل أحدهما عن الآخر. اقرأوا دون فصل بين الغرب والشرق، وبين الجديد والقديم. ولا تؤسسوا عقيدتكم على الأشخاص. فالحقيقة ليست حكراً على أحد، والحقائق الباقية لا يمكن تأسيسها على الشخصيات الفانية، وإنما يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

أحبابي الشباب!

أود أن أختم كلامي بتعريف الشاب القدوة والمثال في قوله عليه الصلاة والسلام: "شاب نشأ فى عبادة ربه"[البخاري، الزكاة، 16].

أسأل الله سبحانه أن يعمر قلوبكم بسعادة الدين ورحمته. وأن يجعل تطلعكم إلى المعنى موصولاً ودائما. وبكل الحب والاحترام أحييكم مرة أخرى. وأستودعكم الله دينكم وأماناتكم.

بحث الشباب عن المعنى | العناوين الرئيسية

1- تغير علاقة الشباب بالدين؛ ليس لائكياً ولا إلحاداً، بل هو مسائلةٌ، وبحثٌ عن معنى جديد.
2- نقاشات الدين الخاطئة هي السبب في أسئلة الشباب ومساءلاتهم.
3- الأسباب السبعة التي تجتمع عندها أسئلة الشباب: هي علاقات؛ 1- الدين بالإنسان. 2- الدين بالدنيا. 3- الدين بالأخلاق. 4- الدين بالعلم. 5- الدين بالثقافة. 6- الدين بالأخلاق. 7- الإنسان بالله.
4- القراءة المتكاملة وحدها هي السبيل للوصول إلى بر الطمأنينة في أسئلتكم ومساءلاتكم.

ملاحظات: